



موقف مجتمع المغرب الأوسط من المجاعات والأوبئة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م)، من خلال النصوص النوازلية

The position of the Maghreb community on famines and epidemics in the eighth and ninth centuries AH (14th and 15th centuries) - through Jurisprudence questions

نبيل شريخي (*)

المدرسة العليا للأساتذة ، قسنطينة ، الجزائر

charikhin@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2020/06/10 تاريخ القبول: 2020/10/27 تاريخ النشر: 2021/04/30

الملخص:

نابت بلاد المغرب الأوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14 و 15م) مجاعات وأوبئة، أثرت على المجتمع تأثيرا كبيرا، لما شكلته من خطر حقيقي على حياة السكان، ومستوى معيشتهم، واستقرارهم، والتي لم تستثن مختلف فئاته؛ علماء، تجّار، وأثرياء، والذين أظهروا سلوكات قاموا بها أثناءها، أو بعد حدوثها، كانت كردود أفعال على ما أصابهم منها، ومحاولة منهم للتخفيف من وطأتها. وزيادة على ما حفلت به المادة النوازلية من وصف لحالة الساكنة زمن الأوبئة والمجاعات، وتأثيرها عليهم، فإنّ عددا منها صرّحت بحدوث تلك المجاعات والأوبئة، وما أعقبتها من أفعال وسلوكات (التسول، الغلاء، التعدي، التبرك...)، وهو ما يعتبر إضافة هامّة تقدّمها لنا النصوص الفقهية، أمام الشح الكبير الذي قابلت به كتب التاريخ العام مثل هذه الأحداث، خاصّة ما تعلّق بالفئات التي يطلق عليها "المهمّشين" في المجتمع.

الكلمات الدالة:

المغرب الأوسط، المجاعات، الأوبئة، النوازل، السلوكات.

Abstract:

The countries of the Maghreb in the eighth and ninth centuries AH (14th and 15th centuries) experienced famines and epidemics, which greatly affected society, as it posed a real threat to the life of the population, their standard of living, and their stability, which did not exclude its various groups; Scientists, merchants, and

(*) المؤلف المرسل: شريخي نبيل charikhin@yahoo.com



wealthy people, who exhibited behaviors during and after them, were reactions to what had befallen them, and an attempt by them to alleviate its impact.

In addition to what the jurisprudential questions were filled with describing the state of the population at the time of epidemics and famines, and their impact on them, a number of them stated that these famines and epidemics occurred, and the actions and behaviors that followed (begging, exaggeration, transgression, blessing, ...).

Key Words:

Maghreb; famines; epidemics; Jurisprudence questions; behaviors.

المقدمة:

دفعت الظروف الصعبة التي عرفتها بلاد المغرب الأوسط، من حلول للمجاعات، والأوبئة، وتكرار حدوثها مرات عديدة، وفي فترات زمنية متقاربة، بأفراد المجتمع إلى إظهار سلوكات، وردود أفعال متباينة، عبّر عنها إنسان المغرب والأندلس في العصر الوسيط - عموماً- في شكل إفرازات ذهنية وسلوكية، سعيًا منه إلى الحدّ من خطورة الوضع؛ فتارة كانت المواجهة تتخذ صور سلوكات عدوانية، كالسطو، والتهب، والتعدي، وتارة أخرى تظهر في شكل إفرازات ذهنية، وممارسات استسلامية تواكبية، همّها الانسحاب من واقع المعاناة، بالفرار أحياناً، والزهد أحياناً أخرى⁽¹⁾.

وانطلاقاً من شحّ المادة الخبرية حول الأوبئة والمجاعات في كتب التاريخ العام، نحاول أن ننقّب فيما احتوته كتب النوازل من أخبار حولها؛ وذلك انطلاقاً من أنّ تلك الأسئلة التي رفعها أفراد المجتمع كإشكالات فقهية لفقهاء العصر من أجل الإجابة عنها، يفترض أن تنقل لنا في ثناياها بعض السلوكات التي أظهروها في تلك الظروف.

02- حدوث المجاعات والأوبئة في النّص النوازلي:

زيادة على ما نتلمّسه في المادة النوازلية من وصف لحالة الساكنة زمن الأوبئة والمجاعات، وتأثيرها عليهم، فإننا نجد عدداً منها يُصرّح لنا بحدوث تلك المجاعات والأوبئة، فكانت بذلك دليلاً تاريخياً آخر، يضاف إلى ما كتبه المؤرّخون عنها؛ فقد سئل أبو الفضل العقباني (ت854هـ/1450م) في إحداها، عن "...أرض فني أهلها بالوباء الكائن عام تسعة وأربعين وسبعمائة..."⁽²⁾، وهو الوباء الذي ذكره الإمام ابن عرفة (ت803هـ/1401م) في إحدى مسائله الواردة في المعيار، بقوله "...ونزلت هذه المسألة في عام خمسين وسبعمائة من هذا القرن الثامن، وقت نزول الطاعون الأعظم أيام أمير المؤمنين أبي الحسن الميريني..."⁽³⁾.



وأكد سؤال آخر وجه إلى أبي الفضل العقباني (ت854هـ/1450م) حدوث مجاعة عام 776هـ/1374م؛ فقد وقعت هذه النازلة "...عام المجاعة الكبرى الواقعة في عام ستة وسبعين..."⁽⁴⁾؛ وهي "المجاعة العظيمة"⁽⁵⁾ التي اشتكى أبو العباس أحمد بن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) من آثارها⁽⁶⁾، ووصفها يحيى بن خلدون (ت780هـ/1378م) بأنها "...مجاعة شديدة، أكل فيها بعض الناس بعضا، لريح ذات إعصار أهلكت زرع صائفها وحيوانها..."⁽⁷⁾. ووثقت نازلة الوصايا التي وقعت ببجاية - واختلف فيها الفقهاء أبو عبد الله بن القاسم المشدالي، وأبي العباس محمد بن سعيد بن المشط⁽⁸⁾ - حدوث وباء سنة 845هـ/1441م؛ فقد ورد السؤال بأن رجلا من أكابر التجار "...عهد في زمن الوباء... بثلت جميع ما يخلقه ميراثا عنه..."⁽⁹⁾، ليذكر محمد بن بلقاسم المشدالي في جوابه، بأن التاجر المذكور توفي "...في أوائل صفر من عام خمسة وأربعين وثمانمائة"⁽¹⁰⁾.

ويظهر أن هذا الوباء كان عاما لجميع مناطق المغرب الأوسط؛ فقد تعرضت له مدينة تلمسان أيضا، وتوفي فيه الفقيه أبو العباس أحمد بن زاغو سنة 845هـ/1441م⁽¹¹⁾، بل تكرّر الوباء طيلة النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (15م)؛ فنجد أن الحافظ محمد بن العباس التلمساني، قضى نحبه في طاعون عام 871هـ/1467م⁽¹²⁾، والذي شمل بقية مناطق بلاد المغرب الأخرى؛ فقد عظم الوباء بالمغرب الأدنى سنة 873هـ/1469م، حتى بلغ عدد الموتى أربعة عشر ألفا في كلّ يوم⁽¹³⁾، ليحل وباء آخر بتونس عام 899هـ/1494م، مات فيه خلق كثير أيضا، كان منهم السلطان أبو زكرياء يحيى الحفصي⁽¹⁴⁾.

03- سلوكات أفراد المجتمع:

قابل أفراد المجتمع تلك الأوبئة والمجاعات بسلوكات مختلفة؛ قبل حدوثها، أو أثناءها، وبعد عودة الحياة إلى طبيعتها.

1-3- قبل حدوث المجاعة والوباء:

تكرّرت في المادة النوازلية سلوكات اجتماعية واقتصادية، كثيرا ما قام بها أفراد المجتمع، والتي فيها شعور منهم وتنبؤ بحدوث المجاعة في المستقبل؛ فأقدموا على الادّخار والتخزين، بغية التخفيف من حدّة الأزمة عند نقص وندرة المحصول، وارتفاع الأثمان، وهو سلوك لم ينفرد به سكان المغرب الأوسط، بل شاركهم فيه نظراؤهم في بلاد المغرب والأندلس خلال هذه الفترة⁽¹⁵⁾، وقد أمدّتنا النوازل بأمثلة كثيرة عمّا كانت تحويه بيوت السكان من مطامير⁽¹⁶⁾، ووصف لنا الشريف الإدريسي (ق06هـ/12م) ما كانت عليه مدينة قسنطينة- مثلا- وتفضيل



أهلها للمخازن الصخرية، لجودتها العالية في صيانة المؤن، حتى صار "... في كلّ دار منها مطمورتان وثلاث، وأربع، منقورة في الحجر، وكذلك تبقى بها الحنطة لبرودتها واعتدال هوائها"⁽¹⁷⁾.

ولم يقتصر التخزين على الآذخار الفردي، بل صاحبه إقامة مخازن جماعية، تقام خارج أبواب المدن، أو بمحاذاة المساجد في البوادي⁽¹⁸⁾، وكانت القبائل البدوية تتخذ قصبات جماعية للتخزين⁽¹⁹⁾؛ وهو ما ذكرته إحدى النوازل عن رجل له رئاسة ووجاهة "...كان إذا خزّن زرعه، يخزّنه في دواره، وفي زنقته هذه مطامير في الرقاق، يخزّن فيها أيضا..."⁽²⁰⁾. وكانت فئة الحكّام هي الفئة الاجتماعية التي تخزّن كمّيات كبيرة؛ فقد كان الأمراء ومن في معانهم من أهل المدن، يهيئون الأسراب، والمطامير لخنز أقاتهم⁽²¹⁾، وكان سلاطين تلمسان يدّخرون في أهراء المدينة ومطاميرها، ويستعملونه في سنوات الشدائد؛ مثلما كان عليه الأمر في مجاعة سنتي 723-724هـ/ 1323-1324م، والتي ارتفعت فيها الأسعار بحدة، ما جعل الدولة تعتمد إلى فتح المخازن، وبيع الحبوب بأثمان زهيدة⁽²²⁾.

ولم يقتصر السكان في تخزينهم على الحبوب، بل شملت مواد غذائية أخرى؛ فقد جرت العادة في استعمال القلال، والجرار، لحفظ الطعام⁽²³⁾، وتذويب الزبد وتحويله إلى سمن⁽²⁴⁾، وتخزينه في القلال⁽²⁵⁾، واكتيال الناس لما يحتاجونه من الزيت طوال العام، مرة واحدة⁽²⁶⁾، وتخزينه في أوعية كبيرة⁽²⁷⁾، إضافة إلى تجفيف الفواكه والثمار⁽²⁸⁾؛ كالزبيب، والتين⁽²⁹⁾، وآذخار اللحم أو "الخليع"⁽³⁰⁾، وكان الغرض الأساسي من كلّ هذا، هو ضمان أفراد المجتمع لغذائهم أطول فترة زمنية.

3-1- أثناء المجاعة والوباء:

رغم تلك الاستعدادات المسبقة لمواجهة المجاعة وحدّتها، فإنّها كثيرا ما لم تفلح في صدّ قساوتها وشدّتها، الأمر الذي يرجع في الأساس إلى تواصل المجاعة أو الوباء لسنوات عديدة، تؤدّي حتما إلى نفاذ الطعام المخزّن، وأمام هذا الوضع تظهر سلوكات اجتماعية تحاول التخفيف من وطأتها، فيما كانت الإجراءات السابقة قد عجزت عن تحقيقه. وكان السلوك الأكثر تردّدا في سنوات المسغبة هو بيع المتضرّرين منها، بيوّتهم، وعقاراتهم، من أجل توفير ما يشترون به طعامهم⁽³¹⁾، كما رهن آخرون بيوّتهم، وأمام عجزهم عن الوفاء، بيعت بأثمان بخسة أيضا⁽³²⁾، وهو ما يعكس الحاجة الماسة التي اضطرتهم إلى الإقدام على التفريط فيما يملكونه، مقابل الحصول على ما يسدّ رمقهم، ويحفظ أرواحهم.



وسعى الشرع إلى محاربة التعسّفات الناشئة عن الأوضاع المتأزّمة، بالعمل أحيانا على إلغاء العقود الموضوعة في وقت الاضطرابات، الناجمة خاصّة عن المجاعة وعواقبها⁽³³⁾، إلّا أنّنا لم نتوقف في نوازل هذه الفترة عن أحكام فقهية، تلغي تلك العقود، أو تعيد بعض الحقوق لأفراد المجتمع الذين خسروا أملاكهم، بسبب جوع بطونهم في هذه الظروف.

ودفع الظرف الصعب - في هذا السياق- بعدد من الفقهاء إلى مراجعة بعض الأحكام الفقهية، بسبب قساوة المجاعة، والخوف على النّاس من الهلاك؛ فإذا كان الوقف لا يُباع⁽³⁴⁾، فإنّ الفقيه عبد الله بن محمّد بن محسود الهواري (ت341هـ/952م) سئل عن حكم بيع أرض المساكين، المحبّسة عليهم، في سنة المجاعة، "...لما نزل بالخصاصة، والمجاعة بالمساكين"⁽³⁵⁾، فأفتى بجواز ذلك؛ وقال "...بيع أرض المساكين عليهم في مثل هذه السنة، لعيشهم وحياة أنفسهم، أفضل عند الله من بقاء الأرض بعد هلاكهم، وقد أمرتُ ببيع كثير منها في هذه السنة"⁽³⁶⁾.

ولجأ أفراد المجتمع إلى حلّ آخر، في سبيل التغلّب على الصعوبات المعيشية التي خلفتها المجاعة، والذي تمثّل في الاستدانة من الأشخاص الميسورين؛ وجاءت المادة النوازلية حافلة بأمثلة كثيرة عن هذا السلوك⁽³⁷⁾، وما صاحبه من عجز المستدين في أغلب الحالات عن الوفاء بأداء الدين الذي عليه⁽³⁸⁾، في حين هناك من أنكر ما عليه من الدين⁽³⁹⁾، ما كان يضطر الدائن إلى رفع أمره إلى القضاء⁽⁴⁰⁾، فأدّى ذلك إلى اشتراط بعضهم رهن ممتلكات المستدين بوثيقة، تكون ضمنا في حال عدم القدرة على السداد⁽⁴¹⁾، هذا الأخير الذي تأخّر في إحدى الحالات إلى أربعين سنة⁽⁴²⁾، كما تعدّى هذا السلوك إلى قيام أفراد المجتمع، إلى تسلف الطعام زمن المجاعات، وهو الذي أكّدت إحدى النوازل غلاء ثمنه أثناءها⁽⁴³⁾. وذكرت لنا النوازل سلوكات أخرى صاحبت سنوات المجاعة أو الوباء؛ كإهمال الأرض، وتعويضها بغرس الأشجار، لعدم وجود الماء⁽⁴⁴⁾، والفرار من المناطق التي حلّت بها المجاعة⁽⁴⁵⁾؛ فقد سجّل أنّ نساء البوادي كنّ يفزعن زمن المجاعات إلى الحواضر، ويدعّين موت أزواجهنّ، ويطلّبن الزواج على أساس انقضاء عدّتهنّ⁽⁴⁶⁾، إضافة إلى قيام البعض ببيع عبيده⁽⁴⁷⁾، والذي يكون من أجل توفير المال، كما قد يكون لعدم القدرة على إطعامهم.

ومن جهة أخرى كان شعور البعض بدنو أجله في تلك الظروف، هو الذي أدّى إلى ورود عدّة حالات للتوصية بالمال زمن الوباء⁽⁴⁸⁾، كما قام السكان بالتصدّي لهذه الظروف جماعيا،



ودفع ضررها عنهم؛ ومن ذلك ما جاء في السؤال الموجه للشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) عن قيام بعضهم "...بمدافعة النار والجراد"⁽⁴⁹⁾.

وأدت ظروف المجاعات والأوبئة إلى تنامي وتفشي ظاهرة التسول في المجتمع، حتى اعتبرت من الآفات الاجتماعية الخطيرة، التي ظلت تعصف بمجتمعات الغرب الإسلامي⁽⁵⁰⁾؛ لما صارت تستهوي قطاعا عريضا من الناس؛ وقد أكدت لنا إحدى النوازل قيام هؤلاء المتسولين بالسير في الطرقات، وطلب الطعام، "...ولم يزل الرجل ينادي بالطعام [أحيانا] حتى تزهق روحه"⁽⁵¹⁾، وكانت المساجد، والجوامع، والأسواق، في مقدمة الأماكن التي يتجمع فيها المتسولون، كما كانوا يستغلون يوم الجمعة لولوج المساجد، استدرازا لعطف المصلين⁽⁵²⁾، كما اختار آخرون أبواب قبور الأولياء، طمعا في صدقات الزائرين لها⁽⁵³⁾، ومنهم من كان يلتجأ إلى أبواب المنازل، والسؤال عن حاجته⁽⁵⁴⁾.

ومن السلوكات الاجتماعية التي صاحبت المجاعات والأوبئة، ظاهرة زيارة الأولياء، والتبرك بقبورهم، طمعا في الخلاص من هذه الظروف؛ فمواجهة الكوارث في الاعتقاد الصوفي، سمة تجلّى بها أولياء الله دون غيرهم، فهم في نظر هذا المسلك يمثلون دور الوساطة بين الله وعباده⁽⁵⁵⁾، وكان دور الأولياء يظهر في المجتمع بصفة خاصة، في أوقات الأزمات، سواء كانت طبيعية؛ كالقحط، والجفاف، والمجاعات، أو بشرية؛ كتسلط السلطة، واللصوصية، فإلهم يهرع العوام، وهم ملجأهم الأخير⁽⁵⁶⁾؛ وهو ما عبّرت عنه إحدى الخطابات المنقوبة الموجهة إلى الناس، بالقول "...إذا غلت أسعاركم، وقلّت أمطاركم، وضعفت ثماركم، وعميت عن الرشد مسامعكم، وكثرت النميمة والغيبة في خياركم، وجارت عليكم ملوككم، فالتجئوا إلى الله بالأولياء الذين خلف ظهوركم، يؤمنكم الله ممّا تخافون"⁽⁵⁷⁾.

وذكرت لنا عدد من النوازل ما كانت عليه زيارة أفراد المجتمع لقبور الأولياء، من القراءة عليها، واجتماعهم على الرقص والتصفيق⁽⁵⁸⁾، والتصدق بالطعام، والدعاء⁽⁵⁹⁾، وإذا كان الشرع قد حدّد شروطا واضحة لأداء الممارسات الدينية، وضبطها ضبطا دقيقا، فإنّ الممارسة الشعبية قد أخذت بهذه الشروط؛ فتلك السلوكات التي تقام إكراما لولي، أو طلبا للمطر، قد جعلها التدنّ الشعبي، مرادفا للصلاة الشرعية للاستسقاء⁽⁶⁰⁾، وهو الأمر الذي يصاحبه ذبح الذبائح على قبر الولي، وإعداد طعام مشترك، وتوزيع الطعام على الفقراء⁽⁶¹⁾، رغبة في تحقيق عدد من الأمنيات، والتي من بينها طلب المطر⁽⁶²⁾.

وأكدت كتب المناقب والتراجم - من جهة أخرى- أنّ غالبية أفراد مجتمع المغرب الأوسط، يعتقدون بالتفسير الغيبي والروحاني، وأنّ جلّ الأمراض التي كانت تصيبهم، إنّما هي بسبب مسّ من الجن، أو عقابا إلهيا سلّطه الله تعالى عليهم ليعاقبهم به، لذلك كان طبيعيا أن يتقرّبوا من الأولياء أيضا طلبا للعلاج⁽⁶³⁾. وأرجع أحد الباحثين هذه السلوكات "الولائية" تجاه المسغبة والوباء، إلى أنّ العلماء كان من الصعب عليهم، كلّما أصيب النّاس بوباء الطاعون - على وجه الخصوص- أن يقنعوهم بأنّه رحمة من الله، في الوقت الذي كان المرض يتسبّب في فناء البشر وخراب العمران، كما أنّ العلماء فشلوا في إقناع النّاس بانتفاء العدوى، والوباء أمامهم يأتي على أسرة، أو قرية بكاملها، قبل أن ينتقل إلى الأسر، أو إلى القرى المجاورة، في مقابل نجاح الخطاب الولائي والمناقب في استقطاب هؤلاء، ما جعل الحياة الاجتماعية في هذه الفترة، تكون حافلة بسلوك التبرّك، وزيارة الأولياء، والزوايا، طلبا للنجاة أو الشفاء من الوباء المحقق⁽⁶⁴⁾.

ونرى بدورنا أنّ الهوة التي أحدثتها تلك الظروف، بين العلماء وأفراد المجتمع، هي التي جعلت النّاس لا يتوجّهون إلى فقهاءهم، إلّا فيما جاء مرتبطا بإشكال اجتماعي؛ كالإرث، وإعادة المرأة للزواج، فجاءت المادة النوازلية شحيحة في إخبارنا عن هذه الأوبئة والمجاعات بالشكل الكافي كما رأينا، ورغم ملاحظة الباحث محمّد فتحة لهذا الاقتضاب في كتب العصر- أيضا- إلّا أنّ تفسير ذلك بأسباب دينية، ترجع -حسبه- إلى الاعتقاد السائد لدى النّاس، بأنّ انتشار الوباء هو قضاء الله تعالى⁽⁶⁵⁾، لم يكن صحيحا دائما، ولن يصمد طويلا، عندما نرى هؤلاء يتبرّكون بالقبور، ويزورون الأولياء، طلبا للخلاص، أو عندما يلجأ البعض منهم إلى سلوكات سحرية وتنجمية، نبتت من ذهنيات الخرافة والشعوذة، والتي تصنّف ضمن البدع والمحرمات⁽⁶⁶⁾.

4- خاتمة:

من خلال ما سبق، ورغم المعلومات التي قدّمها لنا المادة النوازلية حول المجاعات والأوبئة التي تعرّضت لها بلاد المغرب الأوسط في أواخر العصر الوسيط، وهي إضافة هامة لما نملكه من مادة خبرية حولها، إلّا أنّها تبقى بدورها قليلة وغير كافية من أجل التعرّف بصفة كاملة ومعقّدة لسلوكات أفراد المجتمع خلالها، وقد أمكننا تفسير ذلك الشحّ في نوازل العصر من ذكر للأوبئة والمجاعات، إلى ذلك التوجّه نحو السلوك الصوفي رغبة في الخلاص والنجاة، مقابل عدم اهتمام المجتمع في عمومه بطرح تلك الأوضاع الصعبة على الفقهاء، من أجل معرفة حكم الشرع فيه.



خاصّة وأننا لم نسجّل استثناءات قال بها فقهاء هذه الفترة، لبعض الأحكام الشرعية، مراعاة للظروف التي كان يعرفها أفراد المجتمع أثناءها، رغم ما يميّز المذهب المالكي في اعتباره الأبعاد المقاصدية في كلّ اجتهاداته وفتاويه، وتحقيق مصالح الناس ورفع الحرج عنهم⁽⁶⁷⁾، وهو التساؤل الذي يبحث عن إجابة له، وعن الأسباب التي أدّت بفقهاء العصر إلى ذلك، فهل كان ذلك فعلا هو ما سلكوه ؟ أو أنّه جاء نتيجة لما توصّلت إليه إحدى الدراسات التي بحثت في "أزمة المؤسّسة الفقهية في الجزائر"؛ بتأكيدا على "...أنّ المجهود الفقهي ما يزال في مجاهيل التعقيم، وكأنّ الأمر تقف وراءه إرادة ترغب في إبقاء هذا الاجتهاد في غياب التعقيم، وهو الذي حاز السبق في الكثير من القضايا"⁽⁶⁸⁾.

الهوامش:

(1) - عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق06-08هـ / 12-14م)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2008م، ص78.

(2) - أبو زكرياء يحي المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: مختار حسّاني، مراجعة: مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، 309/3.

(3) - أبو العباس أحمد الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمّد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ/1981م، 65/10.

(4) - ورد سؤال آخر للعقباني ذكره الونشريسي في المعيار، يشبه مضمونه هذه النازلة، وجاءت الإشارة فيها إلى مجاعة 776هـ/1374م . انظر: - المازوني: المصدر السابق، 115/3. وانظر أيضا: - الونشريسي: نفسه، 98/5، 99.

(5) - أبو العباس أحمد بن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعزّ الحقيّر، نشر وتصحيح: محمّد الفاسي ، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المملكة المغربية، 1965م، ص105.

(6) - نفسه: ص105.

(7) - يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة فونطانة، الجزائر، 1338هـ/1910م، 326/2.

(8) - ذكره الونشريسي باسم أحمد بن سعيد بن شاط، والأصح ما ذكرناه، وقد كتب كلّ واحد منهما مع أتباعه بالمسألة، لشيخ الجماعة بتلمسان أبي الفضل قاسم العقباني، وكان محمد بن سعيد من أنصار الرأي الأوّل، أي "الإقرار في الصحة لأزم، ويخرج من رأس المال"، في حين كان محمّد بن القاسم المشذالي يرى بأنّ "صرف الأمانة يكون من الثلث"، وأفتى العقباني بأنه "يخرج من ثلث ما بقي بعد إسقاط المائة والخمسين، المقرّبها على الوجه الموصوف".

انظر: - الونشريسي: المصدر السابق، 05/6، 34. وأيضا: - مجهول: نوازل، مخطوط، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1342، ظ36، و37.



- (9) - الونشريسي: نفسه: 06/6.
- (10) - نفسه: 21/6.
- (11) - أحمد بابا التنبكي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1398هـ/1989م، 1/124.
- ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، عناية وطبع: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1986م، ص305.
- (12) - أحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ضبط وتعليق: عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م، ص431. انظر أيضا:
- ابن مريم: المصدر السابق، ص224.
- (13) - ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق وتعليق: محمد الشّمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1387هـ/1967م، ص157.
- (14) - نفسه: ص159.
- (15) - انظر: - نفسه: ص ص195، 202.
- (16) - المازوني: المصدر السابق، 316/3، 265/3، 359/3، 69/4، 70، 374/4.
- (17) - محمد بن محمد الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، مطبعة بريل، ليدن، 1863م، ص96.
- (18) - عبد الهادي البياض: المرجع السابق، ص215.
- (19) - الحسين أسكان: "المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب"، ضمن: "ندوة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب"، الأيام الوطنية العاشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي، الجديدة، يومي 25، 26 أكتوبر 2002م، تنسيق: بوبكر بوهادي، بوجمعة رويان، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم04، ص139.
- (20) - المازوني: المصدر السابق، 201/4، 202.
- (21) - عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم: عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2007، 1/340. انظر أيضا:
- علي بن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة: عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1420هـ، 1999م، ص530.
- (22) - يحيى بن خلدون: المصدر السابق، 2/326.
- (23) - أبو عبد الله الشريف التلمساني: نوازل، مخطوط، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2326، و104.
- (24) - الونشريسي: المصدر السابق، 8/261.
- (25) - نفسه: 133/6.



- (26) - محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني: المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429هـ/2008م، ص 236.
- (27) - المازوني: المصدر السابق، 316/3، 265/3، 359/3، 69/4، 70، 374/4.
- (28) - قامت إحدى الدراسات، بتتبع طرق حفظ الفواكه غظة طرية، ولمدة طويلة، دون أن تفقد شيئا من خواصها. من حيث الطعم، أو مكوثاتها، أو رائحتها؛ كالعنب، والرمان، والتين، والتفاح، والخوخ، والسفرجل، والقسطل، والبلوط، واللوز، والجوز، والمشمش. انظر:
- عيسى صالحية: "حفظ الفواكه غظة طرية لمدة طويلة في ضوء التراث العربي الإسلامي"، مجلة العصور، تصدر عن دار المريح للنشر، لندن، جانفي 1990م/جمادى الثانية 1410هـ، المجلد 05، ج 01، ص 175، 183.
- (29) - المازوني: المصدر السابق، 268/4، 269.
- (30) - ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 190.
- (31) - الونشريسي: المصدر السابق، 102/5. وأيضا: - المازوني: المصدر السابق، 90/3، 325/3، 327/3.
- (32) - الونشريسي: نفسه، 102/5.
- (33) - برنار روزنبرجي، حميد التريكي: المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و17م، تر: عبد الرحيم حزل، منشورات دار الأمان، الرباط، ط 02، 1413هـ/2010م، ص 224.
- (34) - ذكر أبو القاسم بن جزي (ت 741هـ/1340م) أن الأحباس بالنظر إلى بيعها على ثلاثة أقسام، أحدها: المساجد، فلا يحل بيعها أصلا بإجماع، والثاني: العقار، لا يجوز بيعه، إلا أن يكون مسجدا تحيط به دور محبسة، فلا بأس أن يشتري منها ليوسع بها، والطريق للمسجد في ذلك، والثالث: العروض والحيوان، فقال ابن القاسم: إذا ذهبت منفعتها، كالفرس يهرم، والثوب يخلق، بحيث لا ينتفع بهما، جاز بيعه وصرف ثمنه في مثله، وقال ابن الماجشون: لا يباع أصلا.
- انظر: - أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلي، تحقيق: محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1431هـ/2010م، ص 552.
- (35) - المازوني: المصدر السابق، 268/4.
- (36) - نفسه: 268/4.
- (37) - نفسه: 29/2، 99/4، 100، 202/4، 203. وأيضا:
- الونشريسي: المصدر السابق، 294/4، 310/4.
- (38) - الونشريسي: نفسه، 93/5، 101/5، 43/6، 200/8، 201، 203/8، 204، 437/10، 441/10.
- (39) - نفسه: 294/4.
- (40) - نفسه: 93/5.
- (41) - المازوني: المصدر السابق، 202/4، 203.



- (42) - مجهول: نوازل، و13.
- (43) - نفسه: ط13.
- (44) - الونشريسي: المصدر السابق، 98/5، 98.
- (45) - المازوني: المصدر السابق، 145/2.
- (46) - المازوني: نفسه، 145/2.
- (47) - نفسه: 209/4.
- (48) - مجهول: نوازل، ط36، ط40. وأيضا: الونشريسي: المصدر السابق، 100/5، 101، 05/6، 43.
- (49) - كان السؤال حول فطهرهم، لما يجدونه من المشقة، فأفق الشريف التلمساني، بأنهم "...إن اضطروا أكلوا وشربوا ولا يلزمهم إلا القضاء". انظر: الشريف التلمساني: المصدر السابق، و94.
- (50) - إبراهيم القادري بوتشيش: "ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري"، ضمن: "التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور"، أعمال ملتقى دولي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، (23، 24 أبريل 2011م)، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، 2012م، ص175.
- (51) - المازوني: المصدر السابق، 13/2.
- (52) - إبراهيم القادري بوتشيش: "المرجع السابق، ص178.
- (53) - ابن قنفذ: المصدر السابق، ص106.
- (54) - إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص179.
- (55) - سمية مزدور: "الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط (ما بين القرنين 1006هـ/1612م)"، ضمن: "مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط"، تنسيق: علاوة عمارة، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، 2013م، ص146.
- (56) - محمد الشريف: "تيار التصوف في العصر الموحدي من خلال قطعة من كتاب "المستفاد في مناقب العباد" لأبي عبد الله محمد التميمي"، ضمن: "الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات"، أعمال ملتقى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، أيام، 26، 27، 28 أبريل 1993م، منشورات الكلية، سلسلة الندوات، رقم 05، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص445.
- (57) - نلي سلامة العامري: الولاية والمجتمع، مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط02، 2006م، ص305.
- (58) - الونشريسي: المصدر السابق، 69/5، 71.
- (59) - نفسه: 49/11، 73.
- (60) - أحمد بن أحمد: "الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسة الاجتماعية"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، العدد02، نوفمبر 2001م، ص25، 26.



(61) – Emilie Dermenghem : **Le culte des saints dans l’islam Maghrébin**, 8^e édition, Gallimard, Paris, 1954, pp.152, 153.

(62) – **ibid** : p.155.

(63) - ذكرت الباحثة سمية مزدور عددا من الأمراض التي ظهرت بالمغرب الأوسط، والطرق التي اتبعتها الأولياء للشفاء. انظر: - سمية مزدور: المرجع السابق، ص 158، 170.

(64) - محمد منصور: "موقف علماء المغرب من الأوبئة والإجراءات الصحية الاحترازية"، ضمن: "المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، تنسيق: آسيا بنعدادة، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، 2011م، ص 102.

(65) - محمد فتحة: "الوباء الجارف بالغرب الإسلامي، معطيات ومواقف"، ضمن: "المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغرب"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، تنسيق: آسيا بنعدادة، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، 2011م، ص 94، 95.

(66) - أفرد الباحث عبد الهادي البياض فصلا لأثر الكوارث الطبيعية في ذهنيات إنسان المغرب والأندلس، والذي ذكر فيه السلوكات الخرافية والسحرية التي أظهرها بعض أفراد المجتمع، لدفع الآفات والجوائح، كما ذكرت الباحثة نادية بلحاج كيف استعمل السحر والطلاسم في علاج الأمراض من طرف أفراد المجتمع. انظر: - عبد الهادي البياض: المرجع السابق، ص 130، 156.

- نادية بلحاج: التطبيب والسحر في المغرب، الشركة المغربية للنشرون المتحدين، الرباط، المغرب، 1407هـ/1986م، ص 93، 114.

(67) - محمد عبد الله بن التمين: إعمال العرف في الأحكام والفتاوى في المذهب المالكي، ط01، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، 1430هـ/2009م، ص 45.

(68) - محمد بغداد: أزمة المؤسسة الفقهية في الجزائر، ذاكرة الأمة، الجزائر، 2012م، ص 64.